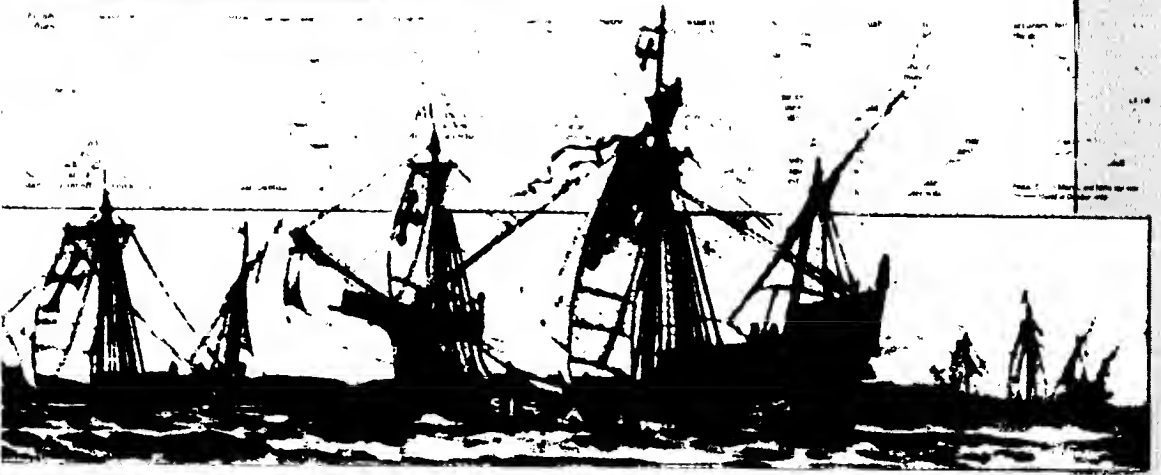


البرتغاليون في شرق أفريقيا وطردهم منه

الدكتور
شوقي عطا الله





افتتح البرتغال صفحة الاستعمار الاوروبى فى العصر الحديث بنزولهم فى ساحل بلاد المغرب (مراكش) واحتلالهم قلعة سبتة (Ceuta) فى أغسطس سنة ١٤١٥، ومن هذا التاريخ الى اليوم لم تعد سبتة الى حظيرة الوطن الأم، ولذا يقول الضابط البرتغالي فاسكو دى كارافالو «ان هذا الحدث الخطير والعظيم اجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من ان يتخذ سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين فى عام ١٤٥٣ بداية لها»^(١)

ولم تكتف البرتغال بالاستيلاء على سبتة فبعد أن ثبتوا اقدامهم فيها وحصنوها اتجهت انظارهم الى طنجة، وتعددت محاولاتهم للاستيلاء عليها، وقد نجحوا بعد ذلك فى الاستيلاء على العديد من الثغور المغربية مثل العرائش، والقصر الصغير، واصيلا وأسفى وأزمور بل اعدوا حملة للزحف على مراكش على أن الوجود البرتغالى فى المغرب صُفى فى منتصف القرن الخامس عشر^(٢)

اولا - البرتغال يتابعون فتوحهم فى أفريقيا :

وقد لعب الأمير هنرى الملاح الذى حكم البرتغال فيما بين ١٣٩٤ - ١٤٦٠ دوراً خاصاً فى الحملات البحرية البرتغالية لشاطىء افريقيا الشمالية والغربية .

وواصل البرتغال نشاطهم الكشفى والاستعمارى فاحتلوا جزر كناريا (Canary Is.) ، ماديرا (Madera) ، وازورس (Azores) ، ووصلوا للرأس الأبيض ثم مصب السنغال وتتبعوا الساحل الغربى للقارة صوب الجنوب فنجح الكابتن ديجوكام Diego Cam فى عام ١٤٨٤ فى الوصول الى مصب نهر الكنغو، وأعقب ذلك رحلات بارثولوميو دياز Bartholomeu Diaz فى عام ١٤٨٦ التى نجحت فى الوصول الى الطرف الجنوبى من القارة وأطلق عليه فى المبدأ رأس العواصف^(٣) .

واهتم البرتغال بانشاء القواعد

تابع البرتغال فتوحهم الاستعمارية فى القارة الافريقية متتبعين الشاطىء الغربى للقارة.

ومن أهم الدوافع التى دفعت البرتغال وهى مملكة أوروبية صغيرة حديثة التكوين كانت خاضعة للنفوذ العربى فى الاندلس ولم تستكمل استقلالها إلا فى القرن الثالث عشر - هو نجاح (البرتغال) فى طرد العرب فاندفعوا مع موجة الحماس الدينى فى تتبعهم للعرب الفارين الى ثغور شمال افريقيا، كما ان قرب البرتغال نسبياً من جزر وسواحل افريقيا الشمالية والغربية شجعهم على الاتجاه لهذه السواحل قبل غيرهم من الأوروبيين .

والحصون قرب المناطق الهامة على الساحل الغربى للقارة وفى الجزر القريبة فأقاموا حصن ارجيوم (Argium) مقابل الرأس الأبيض وسانتياجو (Santiago) قرب الرأس الأخضر، وسان جورج دامينا (San Jorge Demina) مقابل المنطقة التى عرفت بساحل الذهب وساوتومى (Sao Tome) فى الجزيرة الهامة التى عرفت بهذا الاسم والتى اصبحت نقطة ارتكاز هامة لهم فى الطريق لأقصى جنوب القارة وكذلك الطريق المؤدى للبرازيل .

ثانياً- وصول البرتغال الى شرق أفريقيا والنتائج التى ترتبت على ذلك :

فى سنة ١٤٨٧ وصل لمصر رحالة برتغالى كان يعمل لحساب ملك البرتغال هو بيدرو دى كوفيلهام Pedro de Covilham ثم سافر هذا الرحالة عن طريق البحر الاحمر لعدن والهند، وفى اثناء عودته زار اغلب المناطق العربية فى الساحل الشرقى لافريقيا فقد وصل جنوباً حتى سفالة Sofala ثم واصل رحلته شمالاً حتى عاد الى القاهرة وكانت رحلة هذا البرتغالى بالغة الاهمية فقد فتحت العيون الى اهمية المناطق العربية بشرق القارة كما ان معلوماته كانت اساساً للرحلات التى قام بها فيما بعد فاسكو داجاما Vasco Da Gama^(٤) .

فى عام ١٤٩٧ قام فاسكو داجاما برحلته الاولى فى اربع سفن فوصل الى نهاية القارة الافريقية وعبر رأس الرجاء الصالح الى ساحل افريقيا الشرقى وزار الامارات العربية هناك وتابع رحلته الى كاليكوت

Calicut على الساحل الغربى للهند وفى عودته زار داجاما مرة اخرى الموانىء الهامة لشرق افريقيا وعاد الى لشبونة فى سبتمبر ١٩٤٩ فكأن رحلته استغرقت ثلاث سنوات .

وفى عام ١٥٠٢ قام داجاما برحلة ثانية للهند وفى طريقه نزل فى كلوه Kilwa وأجبر سلطانها تحت التهديد بإحراق المدينة - على الاعتراف بسيادة البرتغال ودفع جزية سنوية رمزاً لهذه التبعية .

وقد أصدر ملك البرتغال فى عام ١٥٠٤ قانوناً يحرم حمل الخرائط التى توضح طريق الملاحة الجديد المؤدى للهند، فجمعت الدولة الخرائط البحرية المتداولة وأعدمتها كما ان الاسطول البرتغالى كلف بتعقب أية سفينة تحاول شق طريقها بالقوة عبر هذا الطريق المحظور .

وفى عام ١٥٠٥ اتخذت البرتغال الاستعدادات لتثبيت اقدامها فى المناطق الاستراتيجية والتجارية الهامة بالساحل الشرقى للقارة والقضاء على نفوذ العرب التجاري والسياسي هناك. ولتحقيق هذا الهدف غادر لشبونة اسطول كبير من ثلاث وعشرين سفينة تحت قيادة فرانسيسكو دى الميدا (Francisco de Almeida) .

واستولى الاسطول البرتغالى على سفالة وحاصروا كلوه واستولوا عليها عنوة وعاثوا فى المدينة نهباً وسلباً وأقاموا حصناً فى مينائها به حامية لهم وانتقموا إنتقاماً وحشياً من أهل المدينة لمقاومتهم الباسلة للغزاة .

ثم تقدموا صوب ممبسا (Mombasa) وكانت فى ذلك الوقت مدينة عظيمة قدر

سكانها في ذلك الوقت بعشرة آلاف نسمة وقد قاوم سكانها من العرب والسواحلية القوة الغازية مقاومة عنيفة ودافعوا عن كل شبر من أرض بلادهم حتى انتقل القتال للشوارع الضيقة لكن انتصرت اخيرا اسلحة الغزاة المتقدمة على بطولة المدافعين عن حقهم في الحياة الحرة، واشعل العدو في دور المدينة وحولها النار انتقاماً من بطولة أهلها وساعدت شدة الرياح في ذلك الوقت على سرعة انتشار اللهب فأنت على كل شيء^(٥).

وقد كتب حاكم المدينة المنكوبة الى زميله حاكم مالندى Mlindi يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم اليها بعد أن نهبها الغزاة البرتغاليون وتركوها للنيران فقال «إنهم لم يتركوا فيها أى كائن حي لا رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً حتى الاطفال كل الذين فشلوا في الهرب قتلوا أو احرقوا»^(٦).

وبسقوط وتخریب كلوه، ومباسا سقط عمودان من أهم الاعمدة التي كانت تركز عليها السيادة العربية في شرق افريقيا، وفي عام ١٥٠٦ عاود البرتغاليون الكرة فأرسلوا اسطولاً كبيراً من اربعين سفينة لشرق افريقيا تحت قيادة البوكرك (Albuquerque) استولى على لامو براوه، وعلى جزيرة سوقطره. وفي عام ١٥٠٧ سقطت موزمبيق (Mozambique) في يد القائد البرتغالي دوارت داميللو (Duarte de Mello) واهتم البرتغاليون بتحصينها وبنوا فيها معسكراً ومستشفى وكنيسة، ومنذ ذلك الوقت اتخذوها مركزاً رئيسياً لاشرافهم على مختلف أوجه النشاط في شرق القارة وفي سنة

١٥٠٩ عين البرتغال حاكماً عاماً لمستعمراتهم في شرق افريقيا فاتخذ موزمبيق مقراً رئيسياً له .

وهكذا في أقل من عشر سنوات حقق البرتغاليون حلمهم في شرق افريقيا وسقطت في ايديهم معظم المدن العربية الهامة على هذا الساحل .

ولم يكتف البرتغال بذلك بل اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج ليكملوا سيطرتهم على طرق التجارة والملاحة في هذه الجهات فهاجموا مسقط وهرمز وعدن وفرضوا سيطرتهم الكاملة على التجارة والملاحة في المحيط الهندي والطرق المؤدية اليه .

وهكذا ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح نتائج هامة نجمها فيما يلي :

١. نتائج سياسية :

أفتتح الطريق امام البرتغال لشرق القارة الافريقية بل وبلاد الشرق التي كانوا يطمعون في غلاتها وثرواتها، وكانت الامارات العربية بساحل افريقيا الشرقى اكثر المناطق التي تأثرت بذلك .

فقد أصبحت للبرتغال السيادة في الطريق البحري المؤدى للشرق وقد حاولت الدولة المملوكية التي كان لها النفوذ في مصر والحجاز والشام وكانت تسيطر على تجارة الشرق التي تمر في طريقها لأوروبا بموانئها في مصر او الشام حاولت ان تنصدي لهذا الخطر البرتغالي وتحالف البنادقة مع الممالك للتصدي لهذه القوة المنافسة الجديدة. لكن انتصار الاسطول البرتغالي في موقعة ديو Diu البحرية في عام ١٥٠٩ حسم

الموقف لصالح البرتغال .

وأدى هذا الى أن اصبحت البرتغال رغم انها دولة اوروبية صغيرة ناشئة قوة سياسية يعتد بها .

وقد كان من أهداف البرتغال المعلنة الوصول الى الحبشة الملكية المسيحية التى كثر الحديث عنها فى اوروبا منذ قرون ولم يكن هناك خبر اكيد عن مكانها والطريق اليها ونجحت البرتغال فى تحقيق هذا الهدف وبدأت رسلهم وبعثاتهم تفتد للحبشة وكان غرض البرتغال من اتصالهم باثيوبيا تطويق البلاد العربية بقوات مسيحية والقضاء على النشاط التجارى للعرب فى المحيط الهندى والبحار المحيطة به وكانت هذه التجارة بأرباحها والمكوس التى تجبى فى الموانىء على تجارة الشرق المارة لاوروبا هى مصدر ثروة وقوة البلاد العربية، وانتهى الامر بضعف دولة الممالك وسقوطها وحل العثمانيون محلهم باعتبارهم القوة الاسلامية الكبرى ودخلوا فى هذا الصراع مع البرتغال والاحباش^(٧) .

وقد طال الصراع بين العثمانيين والقوى الاسلامية الاخرى من جهة وبين البرتغال والاحباش من جهة اخرى - ولا نريد ان نخوض فى تفاصيل هذا الصراع لكن نشير لبعض المعالم فى هذا المجال .

فمن صور الصراع البرتغالى العثمانى :

حدث فى فترة حكم السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦) أن ارسل عدة حملات بحرية لمقاتلة البرتغاليين فى البحار الشرقية واعادة السيادة للعرب فى هذه البحار وكانت هذه الحملات تعد فى ميناء

السويس المصرى وسعى الاتراك فى هذا المجال ايضاً للسيطرة على المنافذ العربية الواقعة على الخليج العربى وفى الطريق الحيوى الجديد للشرق .

واستمر النضال بين البرتغاليين والعثمانيين مدة طويلة دون طائل - فأرسل مراد الثالث القائد البحرى ميرك بك فى عام ١٥٨٨ بقوة لتخليص البلاد العربية بالساحل الافريقى الشرقى من سيطرة البرتغال ولمعاونة القوى الوطنية فى هذه البلاد فى مقاومتها للغزاة .

وقبل القائد العثمانى بالترحاب من سكان الامارات العربية السابقة فى مدغشقر وبراو وقسمايو وغيرها من الموانىء العربية فقد نظروا اليه نظرهم للمخلص من نير الاجنبى وفضلوا الخضوع للعثمانيين على الوقوع تحت نير البرتغال - لكن العثمانيين لم يستطيعوا ان يحتفظوا فى هذه البلاد بقوات تثبت سلطانهم وتحمى السكان من اغارات البرتغاليين المتكررة، فاستطاع البرتغاليون ان يستعيدوا سلطانهم وانتقموا من السكان الذين اظهروا ولاءهم للعثمانيين .

واستمر النضال بين البرتغال والعثمانيين واتخذ صوراً متعددة منها ان الدولة العثمانية كانت تؤيد وتعاون الممالك الاسلامية المحيطة بهضبة اثيوبيا والتى سميت بممالك الطراز الاسلامى - بينما كانت البرتغال تؤيد مملكة اثيوبيا وتعينها على مهاجمة الممالك الاسلامية المحيطة بها - وظل هذا النضال حتى القرن السابع عشر اذ فترت الحمى فى الدولتين وضعفت قوتها ولم يبق تحت السيادة العثمانية إلا بعض

الثغور كمصوع وكذلك اضطر البرتغاليون للتنازل عن مكانهم في البحار الشرقية لمنافسيهم الهولنديين ثم الانجليز الذين احتلوا مكان هؤلاء وأولئك في السيطرة على المحيط الهندي وطريق الرأس منذ أن تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠ وأخذت توجه نشاط الانجليز في البحر الاحمر والخليج العربي^(٨).

٢. نتائج اقتصادية :

كان الدافع الاقتصادي في مقدمة الدوافع التي دفعت البرتغال في جهودها لتابعة الكشوف والاستعمار في غرب القارة بهدف الوصول الى مصادر تجارة الشرق والتي كان يتحكم فيها العرب والطرق التي تسلكها الى اوروبا والتي كانت تتحكم فيها دولة المماليك .

وبعد أن حقق البرتغال حلمهم بوضع أيديهم على طريق التجارة بين الشرق والغرب احتكرت البرتغال تجارة الشرق والتجارة في السلع الافريقية وفي مقدمتها الرقيق والذهب والفضة وأصبحت لشبونة مركزاً للسلع الافريقية ومنتجات الشرق وتحول الطريق التجاري الذي تسلكه هذه السلع الى طريق رأس الرجاء الصالح بدلاً من طريق الخليج العربي والبحر الاحمر الذي أصبح كبحيرة راكدة وتحولت الانظار عن هذا الطريق وعن أقطار آسيا الغربية وظل الامر كذلك حتى التطورات الاخيرة التي صاحبت الثورة الاقتصادية في اوروبا في نهاية القرن الثامن عشر واولائل القرن التاسع عشر التي دعت للعودة بسرعة للطريق القديم المهجور فبدأت الحياة تدب

فيه من جديد وأخذت انظار الدول الاوروبية القوية المتنافسة في ذلك الوقت تتجه نحو هذا الطريق القديم وتذكر الاهمية المنتظرة له ومن ثم أصبحت السيطرة على منافذ هذا الطريق وموانئه مجال صراع استمر طوال القرن التاسع عشر واولائل العشرين^(٩).

وقد اتخذ البرتغاليون من موزمبيق مقراً لهم ومركزاً لسيادتهم فاهتموا بتحسينها واعدادها كقاعدة تجارية تخدم اسطولهم التجاري الذي كان يعمل بين لشبونة التي أصبحت سوقاً تجارية هامة للسلع الافريقية والشرقية وبين الهند ويقال انه كان في لشبونة سوق كبير للرقيق الافريقي يمد العالم الجديد كله بحاجته منهم وقد قدر عدد العبيد الذين بيعوا في سوق لشبونة سنة ١٥٣٩ بـ ١٠,٠٠٠ عبد وبالطبع لم يكن كل هؤلاء من شرق القارة فقد لعبت انجولا في جنوب غرب القارة دوراً هاماً في ذلك وان كانت حصيلتها من الرقيق في الغالب تصدر الى جزيرة ساوتومي ومنها الى البرازيل مستعمرة البرتغال في جنوب امريكا^(١٠).

والحقيقة ان الآثار الاقتصادية لوصول البرتغال لشرق القارة وحلولهم محل العرب في هذا المجال ومحاولاتهم القضاء على النشاط العربي الاقتصادي في شرق القارة كانت عميقة .

ومما يذكر في هذا المجال محاولات البرتغال للسيطرة على امبراطورية المونوموتابا التي ذاعت شهرتها بسبب مناجم الذهب فيها والتي كان العرب يحتكرون الاتجار فيه ولتحقيق هذا الهدف ارسلت البرتغال عدة بعثات لعل اشهرها بعثة انطونيو فرناندز التي كلفت بزيارة

امبراطورية المونوموتابا ومحاولة الاتفاق مع الامبراطور على ان يحل البرتغال محل العرب في تجارة الذهب وان يسمح الامبراطور بوجود مندوب للبرتغال في بلاطه لهذا الغرض. وتوالت بعثات البرتغال لتحقيق هذا الهدف الكبير لكن يبدو ان البرتغال لم ينجحوا كثيراً في تحقيق أطماعهم فقد صدموا بالواقع اذ أدركوا ان الشائعات عن ثروة المناجم في هذه البلاد والتي ربطت بينها وبين ثروة ملكة سبأ مبالغ فيها الى حد كبير وان ما يمكنهم الحصول عليه من الذهب لا يغطي تكاليف إنفاذ جيش ضخم لاحتلال المنطقة فاكتفى البرتغال بعقد اتفاقات تجارية مع بعض الحكام ليتعهدوا بحماية التجار البرتغال ومن يرغب منهم في العمل في مناجم الذهب واكتفى البرتغال بالاحتفاظ ببعض النقاط الآمنة الحصينة لخدمة عملية التبادل التجاري^(١١).

وادی هذا لتركيز البرتغال أكثر على تجارة الرقيق بالإضافة الى الغلات الافريقية الاخرى - ويعل بعض الكتاب ضالة الكثافة السكانية في مدن وموانئ الساحل الشرقي للقارة - رغم ان هذه المناطق أكثر ملاءمة للسكنى من المناطق الاستوائية وغيرها من المناطق الداخلية بافريقيا بضخامة اعداد العبيد التي اقتنصت وبيعت في اسواق آسيا وأوروبا والتي رحلت للأمريكتين وان كان بعض الكتاب الاوروبيين من امثال كوبلاند يحملون العرب تبعة ازدهار تجارة الرقيق المجلوب من شرق افريقيا الا أن وجه المغالطة في ذلك واضح فالرق كان معروفاً في افريقيا منذ زمن بعيد لكنه لم يكن يمثل ظاهرة لها

خطورتها وجسامتها الا بعد ان ادخل البرتغال وغيرهم من الاوروبيين الاسلحة النارية للقارة وسلحوا بها اتباعهم من الجلاية ليجلبوا لهم الاعداد المتزايدة من الرقيق التي اصبحوا بحاجة ملحة لها للعمل في مستعمراتهم في العالم الجديد ويذكر كوبلاند نفسه ان التعدادات اثبتت ان تجار الرقيق الاوروبيين تقع عليهم تبعة ما لا يقل عن مليون عبد سحبوا من قارة افريقيا بالاضافة الى ان مثل هذا العدد على الاقل قد قتل في اثناء عملية القنص والترحيل^(١٢).

وقد حمل البرتغاليون هذه التجارة معهم الى البرازيل وتعلم منهم البرازيليون اسس هذه التجارة الرابعة - وظلت البرازيل حتى بعد ان انفصلت عن التاج البرتغالي تبذل جهودا لا تقل عن جهود السادة البرتغاليين في إحياء تجارة الرقيق وإن كان نشاطهم تركز أكثر في غرب القارة .

ويذكر كوبلاند نفسه إن البرتغاليين وإن كانوا يأتون بعد العرب في الاتجار بالرقيق في شرق افريقيا الا انهم أول من فتح باب استيراد الرقيق من غرب افريقيا وشحنهم لاستخدامهم في امريكا^(١٣).

هذا ونشير في مجال النتائج الاقتصادية لوصول البرتغال لشرق القارة الى انهم عمدوا لانتزاع مساحات واسعة من الاراضي الزراعية على ضفاف الزمبيزي بنوع خاص من اصحابها لاستغلالها لصالحهم وكانت وسيلتهم في ذلك اما استخدام القوة والتهديد او محاولة شراء الارض من زعماء القبائل وأدى هذا لنشأة طبقة من الاقطاعيين البرتغاليين وانغمس بعض رجال الدين واعضاء البعثات التبشيرية في هذا

الميدان فبدلاً من القيام بمهمتهم الدينية والانسانية بين القبائل الافريقية استهوتهم حياة البذخ التي يعيشها رجال الاقطاعات فعمدوا الى تملك الاقطاعات الكبيرة من الارض وساروا فيها سيرة أمراء الاقطاع من حيث استغلالها واسترقاق اهلها والاعتماد على الجيوش المرتزقة لمساعدتهم على تثبيت نفوذهم وتوسيع اقطاعاتهم.^(١٤) هذه صورة مبسطة للنتائج الاقتصادية التي ترتبت على وصول البرتغاليين لشرق افريقيا.

٣. من الناحية الدينية :

كان الدافع الدينى من الدوافع الهامة وراء محاولات البرتغال الكشفية ورحلاتهم البحرية التى وصلت بهم الى شرق افريقيا بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح وكان من اهدافهم الوصول الى ملك الحبشة المسيحى والتعاون معا على تطويق العالم الاسلامي وقطع مصادر الثروة التى تعتمد عليها الدول الاسلامية .

وقد حقق البرتغال هذا الحلم فوصلوا الى اثيوبيا وحاولوا نشر المذهب الكاثوليكي فيها وفصم عرى الرابطة بين الكنيستين الاثيوبية والمصرية وان لم يفلحوا في هذا لكنهم اكتفوا بالعمل معا ضد المسلمين، ورأينا كيف امتد هذا الصراع بين البرتغال والمسلمين مدة طويلة واتخذ صورا متعددة . وقد اقتتفت البعثات التبشيرية البرتغالية خطى الرحالة والتجار وجيوش الاستعمار، وأصبح طبيعيا ان نجد في كل قلعة انشئت في سفالة وموزمبيق وغيرها من الموانئ الافريقية واحداً أو اكثر من الجزويت، ومن

اشهر هؤلاء جونزالودى سيلفيرا (Gonca-lo Da Silveira) الذى وفد من لشبونة لشرق افريقيا وتوغل حتى مقر المونوموتابا ونجح في اقناع الامبراطور الافريقى ورجال حاشيته باعتناق المسيحية - لكن خشى بعض تجار الرقيق بنوع خاص من نتيجة هذا العمل فكادوا له عند الامبراطور واتهموه بالجاسوسية فنكل به الامبراطور وقتله وانتقلت البرتغال بارسال حملة بقيادة فرانسيسكو باريتو (Francisco Barreto) في عام ١٥٦٩ للانتقام من قتل المبشر البرتغالى لكن لم تحقق هذه الحملة اهدافها .

وقد تنافست بعد ذلك بعض فرق الرهبان على العمل في هذا الميدان الجديد بشرق افريقيا، واشتهر من هذه الفرق فريق الدومينكان فقد امتد نشاطهم على طول نهر الزمبيزى وانشأوا مدرسة للاهوت في الهند بعثوا إليها عدداً من الشبان الافريقيين لاعادهم للعمل في الحقل التبشيري في افريقيا بعد عودتهم اليها^(١٥) .

على ان انحراف رجال الدين البرتغال عن اهدافهم واتجاههم الى السعى لتملك الاقطاعات والمتاجرة في الرقيق وغير ذلك من المخازى بالاضافة الى الصراع الرهيب الذى نشب بين طوائف المبشرين - ادى الى قصر نشاط هذه البعثات على نقط بسيطة ساحلية وعلى بعض الاعمال البسيطة في المستشفيات أو في مجال التعليم، ثم تطور الامر فتوقف عملها كلية بعد ذلك بعد ان نضبت اموالها وفتر الحماس الدينى الذى كان هو الدافع في المبدأ وراء هذه المغامرات الشاقة .

٤. من الناحية الثقافية :

ادى كشف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح وتحول التجارة عن مصر والشرق الاسلامي الى عزل هذه البلاد عن العالم وعن أوروبا التي كانت قد أخذت تنهض وتتقدم منذ عهد النهضة الأوروبية مما أدى الى الركود الذى شمل المشرق الاسلامي بالذات من مستهل العصور الحديثة حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

على انه فيما يتعلق بالاخذ بأيدي الافريقيين في مجال التعليم والثقافة - وهى من الاهداف التي تذرع بها المستعمرون وبرروا بها عملياتهم الاستعمارية فقد تركت السلطات البرتغالية للارساليات الدينية مهمة القيام بهذا العمل والحقيقة ان جهود هذه الارساليات وامكانياتها كانت محدودة للغاية فلم تحقق الا نجاحا بسيطاً .

وحتى بداية القرن التاسع عشر كانت المدارس القليلة الموجودة في موزمبيق وغيرها من الساحل الافريقي الشرقى تخضع خضوعاً تاماً لاشراف الارساليات الدينية فهي التي تديرها وتنفق عليها وتتولى شؤونها .

والاحصائيات التي وصلتنا تدل على ضالة عدد المنتظمين في المدارس من الافارقة .

واذا وضعنا في الاعتبار انتشار الشعور العدائى بين الافريقيين ضد البعثات التبشيرية، وعدم الثقة في نواياها بالاضافة الى النظرة للافريقي على انه يجب ألا يحصل إلا على قدر ضئيل من الثقافة يؤهله ليكون عاملاً يمكنه أن يمارس العمل الذى يكلفه به

الأوروبى، وان ينفذ الأوامر الصادرة اليه - يمكن ان ندرك النتائج التي يمكن ان تسفر عنها مثل هذه الجهود في ميدان التعليم .

وقد رد فريردا اندريد (Fraire de Andrade) الحاكم العام لموزمبيق في عام ١٩٠٦ على السؤال الذى كان يجول دائماً بأذهان القائمين على التعليم في المستعمرات البرتغالية عن نوع التعليم الذى يمكن أن يقدم للافريقي بأن «تعليم الافريقي يجب ان ينحصر في إعدادة ليكون عاملاً يسهم في تقدم إقتصاد البلد فحسب ويجب الا نشجعه حتى يصل به الغرور لدرجة أن يحاول تمثيل دور الضفدعة التي ظنت أنه يمكنها أن تنتفخ فتصبح كالثور فانتهى الأمر بأنها انفجرت وبالطبع لم يلحق بالثور في هذه القصة أى ضرر لكن في حالة الافريقي لا بد ان يلحق الضرر بالآخرين»^(١٦) .

والحقيقة أن الأوضاع التي تركت البرتغال مستعمراتها فيها بعد أن انتهى الوجود البرتغالي تعطى صورة سوداء حالكة عن ظروف التعليم في هذه المستعمرات وأوضاع الافارقة في ظل الاستعمار البرتغالي .

وأشير الى ان البرتغال كانت دائماً تخشى أن تنتقل تيارات التحرير التي أخذت تهب على القارة الافريقية الى مستعمراتها ولذلك فرضت ستاراً حديدياً على المستعمرات وسكانها .

وحاولت عزل هذه المستعمرات عن مختلف التيارات الخارجية لكن كما سنعلم أن هذا لم يكن ممكناً إلا لفترة محدودة .

ثالثاً. نظام البرتغال الادارى فى مستعمراتهم بشرق القارة ووضع الموظفين فى ظله :

رسم البرتغال سياستهم الاستعمارية لتحقيق أهدافاً محددة هى استغلال المستعمرات الى أبعد حد من الناحيتين المادية والبشرية، ومقاومة اية حركة تمرد، خصوصاً حين بدأت القومية الافريقية تظهر واخذت حركات التحرر ومقاومة الاستعمار تهدد النفوذ البرتغالى .

وظلت سياسة البرتغال فى مستعمراتها سائرة على نفس النهج الاستغلالى المحض تقريباً دون تغيير حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت مساوئ ومظالم النظام الاستعمارى قد وصلت الى درجة ضج منها رأى العام العالمى الذى استنكر هذا النظام والذى وصفه بأنه صورة جديدة من الرق^(١٧) (A Modified form of Slavery) .

وكانت هناك وزارة للمستعمرات، ويعاون وزير المستعمرات مجلس استشارى كانت السلطة فى المستعمرة فى يد الحاكم العام وهو المسئول عن كافة الشؤون لكن بمضى الوقت تكونت فى المستعمرة طبقة من الاقطاعيين، وكان عدد البرتغاليين الذين قبلوا الهجرة الى المستعمرات الافريقية قليلاً فلجأت الحكومة البرتغالية لارسال المجرمين والخارجين على القانون، ولذا كانت الغالبية العظمى من البيض فى المستعمرات البرتغالية حثالة المجتمع، وكانت جهود المستعمرين البرتغال منصرفة الى تجارة الرقيق واستنزاف كافة خيرات المستعمرة وكما ذكرنا فإن الجمعيات التبشيرية التى بدأت نشاطها فى اعقاب

الاستعمار البرتغالى شاركت فى هذا النشاط الهدام. وقد برر البعض هذه الجريمة بأن الرقيق الافريقيين كانوا أكثر إستعداداً لتقبل تعاليم المسيحية حين يبتعدون عن موطنهم الأصل حيث تنتشر معتقداتهم فى السحر وغيره، ولذا أصبحت الحصون البرتغالية فى شرق القارة عبارة عن مجرد مراكز للتبادل التجارى وكان الرقيق أهم سلعة فيها^(١٨) .

وقد ظلت موزمبيق زمناً طويلاً المركز الرئيسى لتصدير الذهب والعاج بالاضافة الى الرقيق والغلات الافريقية الاخرى، وكان حاكمها تابعاً لنائب الملك فى الهند وعليه ان يرفع اليه تقارير دورية لرفعها هو بدوره الى لشبونة^(١٩) .

وقد منحت البرتغال فى مستعمراتها الامتيازات للشركات الاستغلالية الاجنبية لمزاولة نشاطها فى هذه المستعمرات .

ولقد كانت نظرة البرتغال للافريقى قائمة على انه كائن حى أقل من الأوروبى وأن عليه أن يعمل وأن يجبر على العمل لتحقيق الرفاهية للأوروبى فالمستعمرات كان ينظر اليها دائماً كأقاليم منتجة لصالح الرجل الابيض - وكافة القوانين والنظم التى وضعت كلها تشير الى هذا الاتجاه - ولذا كانت المستعمرات البرتغالية أسواقاً لتجارة الرقيق وغيره من السلع الافريقية وحتى بعد ان صدرت القوانين بالغاء الرق اصبح الرق الجديد يمارس فى صورة العمل الاجبارى ولم يقبل البرتغاليون فى اى يوم من تاريخهم الاستعمارى الطويل فى افريقيا والذى يقرب من خمسة قرون - ان ينظروا الى الافريقيين

نظرة الند للند وأن يعاملوهم على قدم المساواة .

ولذا كان القانون الذى وضعته البرتغال لحكم مستعمراتها يقسم السكان دائماً الى ثلاث فئات :

أ - فئة الاوروبيين :

ب - فئة الوطنيين الذين اندمجوا فى الحياة البرتغالية وهم ثمرة التزاوج بين الاوروبيين والافريقيين .

ج - فئة الوطنيين الذين لم يندمجوا فى الحياة البرتغالية .

يضاف الى هذا فى المستعمرات البرتغالية فى شرق افريقيا عدد من الآسيويين من الهنود وغيرهم هاجروا الى تلك المستعمرات ولم تكن النظرة اليهم تختلف كثيراً عن النظرة للوطنيين الافارقة .

وبالطبع كانت الخدمات كلها سواء التعليمية او الطبية او غيرها مركزة فى مراكز تجمع الاوروبيين .

وفى موزمبيق مثلاً رغم ان غالبية الافارقة كانوا يعملون بالزراعة فان السلطات البرتغالية وجهت الانتاج للمحاصيل النقدية كقصب السكر والسيسال والقطن والشاي كما أدخلت زراعة الحمضيات والموز، وتركزت مشروعات الرى الهامة المتعلقة بنهر لمبوبو على المناطق التى يحتلها الاوروبيون، اما مزارع الوطنيين فيزرع بها الذرة والدخن والكبره - كما وجه الاهتمام ايضا لاستغلال مناجم الفحم .

وفىما يتعلق بطرق المواصلات مدت الخطوط الحديدية بقصد خدمة الاهداف الاقتصادية للمستعمر لنقل الصادرات واعدت الموانئ لنفس الهدف .

ويكفى لاعطاء صورة صادقة بعض الشئ عن وضع الوطنيين الافارقة فى المستعمرات البرتغالية ان نشير الى التقرير الذى وضعه بتكليف من الحكومة البرتغالية الكاتبن هنريك جلفاو (Galvao Henrique) وقد رفع تقريره الى الجمعية الوطنية فى عام ١٩٤٧ لكن الصراحة المؤلة التى كتب بها التقرير أدت الى توجيه الاتهامات له فسجن وبقي فى السجن حتى عام ١٩٥٩ حين استطاع الفرار، وفى ١٢ يناير ١٩٦١ استولى على السفينة سانتا ماريا (Santa Maria) بقصد التوجه الى افريقيا وتحرير المستعمرات البرتغالية من الدكتاتورية وبالطبع لم يحقق جلفاو خطته وانتهى به المطاف الى اللجوء الى ميناء رسييف Recife البرازيلي لكن هذا العمل لا شك فى أنه لفت الانظار الى الاوضاع السيئة فى المستعمرات البرتغالية^(٣٠) .

وفى تقريره أشار جلفاو الى الحالة السيئة التى يعانى منها الوطنيين فى المستعمرات البرتغالية لدرجة ان السكان القادرين على العمل فى موزمبيق وغيرها يهربون ويهجرون الارض الى جنوب افريقيا وروديسيا وغيرهما وقد قدر عدد الذين هاجروا فى خلال السنوات العشر الأخيرة من موزمبيق وانجولا وغينيا بمليون نسمة وذكر أن المعدل السنوى للهجرة آخذ فى الازدياد وذكر التقرير أن الأمر لا يقتصر على انخفاض مستوى المعيشة فى المستعمرات البرتغالية بل إن هذه المستعمرات تعاني من نقص فى الخدمات الطبية مما ترتب عليه هبوط معدل المواليد وارتفاع نسبة الوفيات التى قدرت بـ

٦٠٪ من الاطفال، و ٤٠٪ من متوسطى العمر.

ويشير التقرير الى عمليات القمع التى انتهجتها البرتغال ضد الوطنيين حتى انه ذكر انها قامت فى صورة عمليات ابادة حقيقية وذكر ان الارقام الواردة فى الاحصاءات الرسمية لا يمكن ان تصور مدى الألم الذى يحس به المرء حين يشاهد اوضاع الوطنيين بنفسه، فالذين يكتبون التقارير الرسمية يخشون ان يضمنوا تقاريرهم الحقائق التى يهمسون ببعضها فيما بينهم، وأشار التقرير الى ان عدد الاطباء قليل وهم يتركزون فى اهم المراكز المدنية حيث يتجمع البعض تاركين المناطق الداخلية خالية من أية رعاية طبية وتفتقر المستشفيات للتنظيمات الصحية الاولى وهى لا وجود لها فى الاماكن التى يكثر فيها الوطنيون والتى تشتد فيها الحاجة اليها والعناية بالامهات قبل الوضع وبعده ورعاية الاطفال ومقاومة الامراض المتوطنة كالمالاريا ومرض النوم مجرد شكليات .

والزوار الذين ترسلهم الحكومة المركزية لكتابة تقارير عن الحالة لا تترك لهم الفرصة فى الواقع الا لمشاهدة المظاهر الراقية التى تستحدث بمناسبة زيارتهم ويشبه التقرير الحالة فى موزمبيق بأنها كأنما تعانى من الآثار المدمرة لحريق مروع، وتحدث التقرير عن نظام الالزام فى العمل فذكر انه لا يختلف فى الحقيقة عن نظام الرق والسخرة وان اكثر من ٣٣٪ من الذين هم فى سن العمل عاجزون لاسباب صحية عن مزاوله العمل لكن لا يعفى فى الحقيقة من السخرة سوى الموت، وتحدث عن هذا النوع من الرق فذكر

انه اسوأ من الرق المجرد لأنه - كما ذكر - اليوم لا يشتري الوطنى انما يجرى استتجاره من الحكومة، وان كان يشغل مركز الرجل الحر - يكاد سيده لا يهتم به ان مرض فهو يواصل العمل طالما هو حى، وحين يعجز عن العمل او يموت يستطيع سيده دائما ان يطلب ابداله بعمال آخرين .

وأورد جلفاو فى تقريره صورة لنقل العمال الذين تتكفل ادارة شئون الوطنيين بجمعهم لاصحاب الاعمال وشحنهم فى ظروف شبيهة بما يحدث عند تصدير الحيوانات.

وتحدث التقرير ايضا عن الظروف السيئة التى يعمل فيها العمال الوطنيون وعدم توفر المساكن الصحية اللائقة بادميتهم، وعدم دفع الاجور المناسبة لهم، والعقوبات البدنية التى يتعرضون لها والنظر للوطنى على انه مجرد حيوان يحمل الاتقال حتى ان الكثير من الاعمال الشاقة تعهد اليه بدلا من استخدام الآلات، وذكر انه يشعر بعجزه عن ذكر الحقيقة كاملة لكنه يجمل الوضع بأنه اشبه بعملية ابادة بالجملة للسكان الافريقيين.

والعجيب ان حكومة البرتغال بدلا من ان تتخذ خطوات لعلاج الوضع نجدها تحيط التقرير بسياج من الكتمان وتصب نقمتها على كاتبه فتزج به فى السجن^(٢١)

لقد أوردنا بعضا مما جاء فى هذا التقرير لأنه يعطى صورة دقيقة لوضع الوطنيين ولأنه مكتوب بقلم مسئول برتغالي سجل ما شاهده فى زيارة له قام بها فى منتصف القرن العشرين (١٩٤٧) بعد العديد من الاصلاحات التى ادعت حكومة البرتغال انها قامت بها لاصلاح اوضاع الوطنيين فى

موزمبيق وغيرها من مستعمراتها .

رابعاً- الحركة الوطنية في المستعمرات البرتغالية في شرق أفريقيا :

واجه البرتغال منذ وطأت أقدامهم شرق أفريقيا مقاومة عنيفة من الوطنيين الأفارقة ومن العرب سواء المستوطنين أو الحكومات العربية الأخرى التي سارعت لمساندة حركة المقاومة الوطنية للوجود البرتغالي في الساحل الشرقي للقارة والمياه التي تطل عليها هذه السواحل .

وقد رأينا من قبل صوراً لهذا الصراع . مع دولة الممالك ثم الدولة العثمانية . كما رأينا أن هذا الصراع اتخذ اشكالاً غريبة واشتركت فيه اثيوبيا الدولة المسيحية مع البرتغال كما اشتركت فيه القوى العربية والاسلامية لمساندة الامارات العربية في شرق القارة .

وذكر أن هذه الامارات العربية قاومت الغزو البرتغالي ما استطاعت الى ذلك سبيلاً لكن البرتغال بأسلحتهم المتقدمة إستطاعوا قهر هذه المدن وقد اصابها من جراء ذلك الكثير من التدمير والتخريب والحرق والابادة، فقد كان نصيب المقاومين الذين يتصدون للغزاة الابادة والرق للسكان والمدن والمزارع والحيوانات لنشر الرعب والفزع في قلوب من يفكرون في مقاومة المعتدين .

وظهرت بطولات في هذا المجال تستحق الدراسة والتنويه - وإن استطاع البرتغاليون بأسلحتهم أن يتغلبوا على المقاومة الوطنية التي واجهتهم لكن كان

عليهم بعد ذلك أن يواجهوا ثورات الافريقيين والعرب التي هددت مراكزهم وسلطتهم .

ومن أبرز الثورات التي واجهها البرتغاليون الثورة التي تزعمها مير علي في عام ١٥٨٠ م في مقديشيو وامتدت الى ممباسا وغيرها من الموانئ بشرق افريقيا ولقي مير علي من الاتراك معونة مكنته من إخضاع معظم المناطق الخاضعة للبرتغال ما عدا مالندي .

ولم يستطع البرتغاليون إخماد الثورة إلا بالاستعانة بالقوات البحرية من الهند، وبعد أن نجحوا في استمالة قبائل زومبا (Zumba) وهم من البانتو، وكان انضمامهم للبرتغاليين من العوامل الرئيسية التي مكنتهم من إسترجاع ممباسا والقبض على مير علي وإعدامه .

وقد أيقن البرتغال بعد هذه الثورة أن قواتهم في موزمبيق ومالندي غير كافية لتحقيق السيادة لهم على الساحل الشرقي للقارة ولذا أقاموا في عام ١٥٩٣ حصناً قوياً في ممباسا .

على أن ثورات العرب والافريقيين لم تكن تهدأ حتى تبدأ من جديد، ففي عام ١٦٥٠ اندلعت الثورة مرة أخرى في كل الشاطئ الشرقي وإتصل الثوار بإخوانهم العرب في الشاطئ الآسيوي وجاءتهم نجدات من عمان وغيرها من انحاء شبه الجزيرة العربية .

وهكذا لم ينعم البرتغاليون بالاستقرار على الساحل بالإضافة الى محاولاتهم لد نفوذهم تدريجياً للداخل - وكان اعتمادهم على ما يأتيهم من ممثل الملك في الهند من

إمدادات ونجدات لمواجهة ثورات الأفريقيين.

وحفل النصف الثاني من القرن السابع عشر بأحداث الصراع بين البرتغاليين من جهة وبين الوطنيين من الافارقة والعرب في سواحل افريقيا الشرقية ومؤيديهم من العثمانيين من جهة اخرى، وقبل ان يختم هذا القرن استطاع الافريقيون والعرب بمساعدة قوة من عمان حصار الحصون البرتغالية بالساحل وسقطت هذه الحصون في أيدي الوطنيين وإنكششت سلطة البرتغال واقتصرت على بعض الاماكن الحصينة في جزيرة موزمبيق وأضطروا للاعتراف بسيادة العرب على المنطقة الواقعة شمال رأس دلجادو (Cape De Igado) ، بينما كانت السيادة للبرتغال الى الجنوب من ذلك .

واتخذ البرتغاليون من جزيرة موزمبيق مقراً لهم ومركزاً لسيادتهم واهتموا بتحسينها واعدادها كقاعدة تجارية تخدم اسطولهم التجارى الذى يعمل بين لشبونة التى أصبحت سوقاً تجارياً هاماً للسلع الافريقية والشرقية، وبين الهند. وأصبحت قلعة موزمبيق مركز القائد العسكرى العام الذى هو في نفس الوقت رئيس الجهاز الادارى، وكان مسئولاً أمام نائب الملك في الهند وقد زاد مركز البرتغاليين في شرق أفريقيا حرجاً بعد أن فقدوا سيادتهم في المحيط الهندي والهند^(٢٣) .

خامسا. نهاية الاستعمار البرتغالى بشرق أفريقيا :

ظلت البرتغال متمسكة بوجودها في

موزمبيق وفي مستعمراتها الأخرى انجولا، وغينيا بيساو حتى بعد ان اضطرت الدول الاستعمارية الكبرى مثل انجلترا وفرنسا أن تعترف بحق الشعوب الخاضعة لها في الاستقلال .

وكانت السياسة التي وضعها انطونيو سالازار (Antonio Salazar) في ١٩٣٠ للمستعمرات البرتغالية في أفريقيا تقوم - كما شرحها جورج إميل (Jorge Ameil) أحد دعاة هذه السياسة - على أساس الاحتفاظ بالمساحات التي يرفرف عليها علم البرتغال فيما أطلق عليه «البرتغال فيما وراء البحار» ، وبذل كل جهد ممكن لاستخلاص الثروة الخبيثة في باطن الارض او الظاهرة على سطحها والبحث عن مناطق الانتاج والدمج وتذليل الصعوبات التي تعترض استغلالها^(٢٣) .

وقد صدر في عام ١٩٣٣ قانون لتحقيق هذه السياسة، وعمدت الحكومة البرتغالية لتشجيع المواطنين البرتغال وطلاب الجامعات للقيام برحلات وزيارات للمستعمرات البرتغالية وحث الحكومة البرتغالية ووسائل الاعلام المختلفة على العمل لاثارة حماس الشباب للهجرة الى المستعمرات واستغلال خيراتها، كما شجعت رجال الفكر والكتابة لتسخير اقلامهم للدعوة لهذه السياسة ليبقى حياً في أذهان الشعب البرتغالى - كما ذكر ساليزار - أن افريقية بالنسبة للبرتغال أكثر من أرض تستغلها لكنها السر في أن البرتغال ينظر اليها كبلد عظيم، وبدونها سوف تكون شعباً أوروبياً صغيراً، وحولت المدرسة العالية للدراسات الاستعمارية في لشبونة الى معهد أطلق عليه

٧ - إنتقال الأفريقيين داخل الأقليم يخضع لنظام بطاقات الانتقال فلا يستطيع الأفريقي مغادرة قريته إلا بإذن سابق من بوليس المنطقة .

٨ - وضع نظام صوري لتمثيل الاقاليم فيما وراء البحار في البرلمان البرتغالي تحقيقا لسياسة الادماج وهذا يعنى بالطبع القضاء على القومية الافريقية للافريقيين في هذه الاقاليم، وكان من الطبيعى ان يتحرك الوطنيون الافريقيون في المستعمرات البرتغالية في وجه المستعمر الذى أذاقهم صنوف العذاب والاستعباد وأن يتحينوا الفرصة المناسبة للانقضاض عليه وتحطيم الاغلال التى تربطهم به .

وكانت البرتغال تخشى أكثر ما تخشاه
أمرين :

١ - تسرب أخبار الحركات القومية الافريقية - التى أخذت تجتاح القارة لمستعمراتها .

٢ - رأى العام العالمى ممثلاً في الأفراد والجماعات وكذا في المنظمات الدولية ومعارضة الأساليب الوحشية واللاإنسانية التى تتسم بها سياسة البرتغال في مستعمراتها - وكذا مساندة الدول الافريقية المستقلة وتشجيعها للوطنيين الافارقة في ثورتهم ضد المستعمرين البرتغال .

وقد حاولت البرتغال إحاطة مستعمراتها بسياسات يمنع تسرب نسمات الحرية والقومية التى تهب على القارة الى هذه المستعمرات . ورغم إنضمام البرتغال الى الامم المتحدة سنة ١٩٥٥ لكنها رفضت تقديم أية تقارير عن مستعمراتها كما نص على ذلك ميثاق

اسم (معهد دراسات ما وراء البحار) لخلق طبقة من البرتغاليين لادارة المستعمرات وغير اسم المستعمرات الى اسم (أقاليم ما وراء البحار) وهو الاسم الذى اصبح يطلق أيضاً على وزارة المستعمرات (وزارة ما وراء البحار) .

وفي سنة ١٩٥١ صدر قانون آخر خاص بإدارة الاقاليم البرتغالية فيما وراء البحار وهو لا يختلف في جوهره عن القانون الصادر في عام ١٩٣٣ وأهم المبادئ التى احتواها هذا القانون^(٢٤) .

١ - تعتبر جميع الاراضى الافريقية الخاضعة للبرتغال جزءاً لا يتجزأ من أراضى البرتغال ذاتها .

٢ - تتبع أقاليم ما وراء البحار ووزارة ما وراء البحار ولوزيرها سلطة تامة فيما يتعلق بكافة شئونها ويعاونه مجلس استشاري، ولكل اقليم حاكم عام يدير شئونه .

٣ - يعقد مؤتمر عام في لشبونة كل ثلاث سنوات برئاسة وزير أقاليم ما وراء البحار يحضره حكام هذه الاقاليم للنظر في شئونها المختلفة .

٤ - يحرم في هذه الاقاليم الاشتغال بالسياسة أو تأليف احزاب .

٥ - تشجيع سياسة الاندماج (Assimilado) كما تعرف في اللغة البرتغالية وهى تقضى بمنح الافريقي الذى يتعلم اللغة البرتغالية ويعتق الكاثوليكية حق المواطن البرتغالى .

٦ - منح القانون للادارة البرتغالية حق توريد العمال الافريقيين للعمل داخل الاقاليم التى تسيطر عليها البرتغال أو خارجها تحت ستار ما يُسمى بعقود العمل .

المنظمة الدولية بحجة أن هذه أقاليم برتغالية فيما وراء البحار .

لكن لم تجد هذه المحاولات فمئذ سنة ١٩٤٨ توالى الاضطرابات وحركات الاستنكار للسياسة الاستعمارية البرتغالية في شرق القارة ، فنشطت في موزمبيق مثلاً (حركة الاتحاد الديمقراطي) وهى حركة إنضم اليها عدد كبير من الافارقة بل انضم اليها عدد من المسؤولين البيض الذين شعروا بضرورة تغيير الأوضاع في المستعمرة حتى لا يؤدي الأمر الى إنفجار الموقف .

وقابلت البرتغال هذه الحركات بوسائل وحشية للقمع والارهاب فقتل عدد كبير من الافريقين كما زج بأعداد منهم في السجون والمعتقلات .

وكان طبيعياً أن تساند الدول الافريقية والآسيوية فى الأمم المتحدة حق الوطنيين الافريقين فى حريتهم .

ففى فبراير ١٩٦١ طلبت خمس وثلاثون دولة افريقية وآسيوية من مجلس الامن بحث الموقف فى المستعمرات البرتغالية لأنه يعرض السلام والامن الدوليين للخطر .

وتقدمت سيلان، وليبيريا، ومصر بمشروع قرار للمجلس يقضى بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق فى المستعمرات البرتغالية .

وقد شهدت الساحة الوطنية فى موزمبيق عدداً من التنظيمات الوطنية من أهمها جبهة تحرير موزمبيق التى عرفت باسم (الفريلىو)

التي أعلن تشكيلها فى يونيو ١٩٦٢ وقد أعلنت الجبهة فى سبتمبر ١٩٦٤ الكفاح المسلح ضد المستعمر واستطاعت فعلا تحرير مساحات واسعة من ارض موزمبيق وكان يتزعمها دكتور موندلانى ، وبعد اغتياله اختير ميشيل سامورا رئيساً للجبهة ، وكان للجبهة تمثيل دائم فى القاهرة ومجلة دورية بإسم ثورة موزمبيق .

ومنذ أن قامت منظمة الوحدة الافريقية فى عام ١٩٦٣ ساندت قضية المستعمرات البرتغالية ، ورغم اشتداد حركة المقاومة الوطنية فى المستعمرات البرتغالية فى شرق القارة وغربها مما ترتب عليه استنزاف قوة البرتغال المعنوية والمادية والحربية - لكن ظلت حكومة سالازار العسكرية فى عنادها الى انتهى الأمر بسقوط الحكومة بعد أن وصلت الحالة الاقتصادية فى البرتغال الى الحضيض .

وكان طبيعياً ان تسلم الحكومة المدنية التى خلفتها بعض المستعمرات البرتغالية فى استقلالها .

فقامت جمهورية موزمبيق المستقلة فى يونيه ١٩٧٤ وقد علّق أحد المؤرخين على ذلك بقوله «إن المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا نجحت فى تخليص البرتغال من الحكم العسكرى ولما سقط الحكم العسكرى فى البرتغال استطاعت المستعمرات البرتغالية أن تنال استقلالها » .



المراجع

- (١) De Carvalho, Vasco: La Domination Portugaise Au Maroc, 1415-1789 (Lisbohe 1936) P. 15
- (٢) لمن يريد المعلومات الوافية عن دور البرتغال في المغرب العربي يرجع الى : شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٧) ص ٤١ وما بعدها .
- (٣) Johnston, H.: History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) P. 30
- (٤) Ibid P. 32
- (٥) كان أسمها العربي (بساسنه) وهو كنية عن مكة المكرمة لأن مؤسسيها وفدوا من إقليم الحجاز وعُرفت بعد ذلك عند المؤرخين باسم منبسى وحرفها البرتغاليون الى ممباسا انظر محمود طه : المؤثرات العربية في شرق افريقيا ص ١٤ .
- (٦) Duffy, James: Portuguese Africa (1957) P. 28
- (٧) عن تفاصيل هذه الصراعات يرجع الى المقرئى تقى الدين احمد بن علي : الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام (نشرة الدكتور رنك - القاهرة ١٩٨٥) وكذلك يوسف، احمد : الاسلام في الحبشة (القاهرة ١٩٣٥)
- (٨) شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٨١ وما بعدها .
- (٩) Kammeret: La Mer وكذلك Hoskins: British Routes to India (1928) P. 2
- Rouga, L'Abyssine et L'Arabie depuis L'Antiquite (1929)
- (١٠) تشرش، رج، هاريسون : الاستعمار الحديث (الاصل ١٩٥١ ترجمة د. دولت صادق ومراجعة د. محمد السيد غلاب ص ٣٠
- (١١) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodensia From earliest times to Referedum (London 1968) P. 58
- (١٢) وشوقي الجمل : قضية روديسيا بين الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية (١٩٧٦) ص ٥٥ وما بعدها
- Coupland R.: East Africa and its Invaders (London 1938) P. 35

(١٣) Ibid p. 36 ملاحظة ناقش كاتب هذا المقال بتفصيل قضية اتهام العرب بنشر تجارة الرقيق والتوسع فيها في شرق القارة - انظر شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها مرجع سابق ص ١٣٩ وما بعدها، ١٨٤ وما بعدها .

(١٤) Duffy : Op. Cit. P 111

(١٥) الدومينيكان - طائفة كالجزويت انتسبت الى القديس دومينيكا (St. Dominic) وبدأت نشاطها في اسبانيا وانتقل نشاط جماعة منهم الى البرتغال، وكان لها نشاط خاص في العمل التبشيري في الصين والهند واليابان، وحين فتحت الكشوف الجغرافية الميدان الافريقي للعمل أسرعوا لضم هذا الميدان لنشاطهم.

(١٦) Duffy: Op Cit: P. 259

(١٧) انبرى عدد كبير من الكتاب لمهاجمة سياسة البرتغال التي كانت قائمة على اجبار الافريقيين على العمل في المزارع والمصانع وغيرها والتي اعتبروها صورة جديدة من الرق ومن هؤلاء :

Swan, Charles: Slavery of Today (London 1900)

Harris, John, H. Portuguese Slavery— (London 1915)

Nerinson, H.W.: Modern Slavery. (London 1936)

(١٨) Bartlett, Vernon: Struggle for Africa (London) P. 89

(١٩) استقلت مستعمرة موزمبيق البرتغالية عن جوا بالهند في عام ١٧٥٢ واصبح حاكم موزمبيق مسؤولاً أيضاً عن زمبيزيا وسفالة .

(٢٠) لزيادة المعلومات عن هذا الحدث الطريف يرجع الى :

Galvao, H.: Santa Maria and My Crusade for Portugal (1962) .

(٢١) نجحت جريدة الاوبزرفر (Oberver) في الحصول على صورة كاملة من التقرير ونشرته في عددها الصادر في ٢٩ يناير ١٩٦١ .

(٢٢) للمزيد من التفاصيل عن حركة المقاومة الوطنية للوجود البرتغالي في شرق افريقيا انظر شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها مرجع سابق ص ١٩١ وما بعدها وكذلك Davidson, B.: The African Awakening (1955)

(٢٣) راشد البراوى : الرق الحديث في أفريقيا البرتغالية (١٩٦٢) ص ٧٢ وما بعدها .

(٢٤) عبدالمك عوده : السياسة والحكم في افريقيا (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٠٠ وكذلك

Berlett: Op Cit. P. 86

مكتبة البحث

أولا - مراجع عربية أو معربة :

- ١ - د. تشرش، ج، هاريسون : الاستعمار الحديث ترجمة د. دولت صادق، مراجعة د. محمد السيد غلاب (الأصل المترجم ١٩٥١).
- ٢ - راشد البراوى (دكتور) : الرق الحديث في أفريقيا البرتغالية (القاهرة ١٩٦٢)
- ٣ - شوقي الجمل (دكتور) : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (القاهرة ١٩٦٢)
- ٤ - شوقي الجمل (دكتور) تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٨٠)
- ٥ - شوقي الجمل (دكتور) قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية (القاهرة ١٩٧٧).
- ٦ - عبد الملك عودة : (دكتور) السياسة والحكم في افريقيا (القاهرة ١٩٥٦)
- ٧ - المقرئى، تقى الدين احمد بن علي : الالم باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام (نشرة الدكتور رنك - القاهرة ١٨٩٥)
- ٨ - يوسف احمد : الاسلام في الحبشة (القاهرة ١٩٣٥)

ثانيا - مراجع باللغة الانجليزية :

- 1 - Bartlett, Vern: Struggle for Africa (London 1950)
- 2 - Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1936)
- 3 - Davidson, B.: The African Awakening (1955)
- 4 - De Carvalho, Vasco: La Domination Protugaise Au Maroc 1415 - 1789. (Lisbonne 1936)
- 5 - Duffy, James: Portuguese Africa (London 1959)
- 6 - Duffy, James: Portugal in Africa (London 1952)
- 7 - Galvao, H.: Santa Maria and My Crusade for Portugal (1962)
- 8 - Harris, John, H.: Portuguese Slavery (London 1915)
- 9 - Hoskins : British Routes to India (London 1928)
- 10 - Johnston, H.: History of the Colonization of Africa by Alien Races Cambridge 1931
- 11 - Kameron: La Mer Rouge, L'Abyssinie et l' Arabe depuis L'Antiquite, (1929)
- 12 - Moreira, Edwardo: Portuguese East Africa (London 1926)
- 13 - Nerinson, H.W.: Modern Slavery (London 1936)
- 14 - Ransford, Oliver: The Rulers of Rhodesia from Earliest Times to Referendum (London 1968)
- 15 - Swan, Charles: Slavery of Today (London 1900)